

فوائد الموائد

لأبي الحسين جمال الدين البخاري

القسم الثاني

بتحقيق

الدكتور إبراهيم السعيد

(وضحكي أن العماد المحلي اشترى (١) مملوكاً تركياً ، فحضر اليه يوم سبت بدمشق وقال : أريد أنفرج مع الممالك فاعطني شيئاً ، فاعطاه فلساً فرماه ، فغضب العماد وقال : (ويحك) (٢) ، ترمي الفلس وهو النقطة التي في وسط الدنيا ؟ فقال له المملوك : وكيف ذلك ؟ قال : لا ترى في يدك فلساً حتى تصرف درهماً ولا ترى في يدك درهماً حتى تصرف ديناراً . وهذا الفلس الذي رميته يقضي (٣) حاجة ساعة وحاجة أسبوع (٤) وحاجة شهر وحاجة سنة (٥) وحاجة دهر طويل (٦)) وكان المملوك واقفاً فجلس وقال : وكيف ذلك بالله أخبرني هذه الأعجوبة ؟ قال (نعم) (٧) ، أما حاجة ساعة فقطعة عقيد أو كوز ففاح ، وأما حاجة يوم فوظيفة بقل (٨) أوزيت للسراج (٩) ، وأما حاجة اسبوع فقطن للفتائل (١٠) وأما حاجة شهر فكبريت (يوقد به) (١١) وأما حاجة سنة فملح (١٢) وأما حاجة الدهر فوتد (يدق في الحائط لتعلق عليه الثياب) (١٣) ، فقال المملوك : والعجيب ياسيدي

- (١) في «س» و «ن» : اشترى العماد المحلي . . . (٢) كذا في «م» وسقط من «س» و «ن» .
(٣) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : يكفي . (٤) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : جمعه .
(٥) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : عام . (٦) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : حاجة الدهر .
(٧) زيادة في «م» وسقطت من «س» و «ن» . (٨) كذا في «س» و «ن» أما «م» فقطعة كسب تشبعك .
(٩) سقط من «م» . (١٠) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : فقطن للسراج .
(١١) سقطت من «س» و «ن» . (١٢) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : فحبل الناشوش تنشر عليه الثياب
(١٣) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : فوتد تدقه في الحيط لتعلق القماش أوغيره

ماقلت . وهذا الفليس يدفع منكراً ونكيراً ، وبهذا الفليس تجوز على السراط ، وتنجو من النار ، فعلى من يقعد عندك لعنة الله ، ثم مضى الى النخاس فلم يزل عنده حتى باعه .

(و جاز بعض الفقراء على باب بعض البخلاء فوجده في دهليزه ، فقال : عسى كسرة خبز ، فقال له : أهل داري في الحمام ، فقال الفقير : انما طلبت شيئاً آكله لاشيئاً أنيكه .

وقيل لبعض البخلاء : هل قاسيت الطفيلية قط (كذا) ؟ فقال : في كل يوم ، قيل له : وكيف ذلك ؟ فقال : لأعرف الطفيلية الا الذباب) . (١)

وركب بعض البرابر من مصر الى القاهرة دابة ، فقال له صاحبها : حرك رجلك ، فقال : لو أردت (أن) أحرك رجلي لمشيت ووفرت الفضة ، والله لا تحركت حتى أنزل . وسمع بعض البخلاء رجلاً يشكو الى الطبيب سوء الهضم فقال التحدث بالنعيم شكر .

وسمع بعض البخلاء قارئاً يقرأ : « الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل » (٢) فقال هتأهم الله .

(وقال) الشاعر :

[من الوافر]
أبو نوح دَخَلْتُ عليه يوماً فغداني بأسماء (٣) الطعام
فجاء بقَصْعَة لاشيٍ فيها مُغَطَّاة على طَبَق الكلام (٤)
فلما أن رفعتُ يدي سقاني كؤوساً للمُدام بلا مُدام (٥)
فكان كمن سقى الظمانَ ألا (٦) وكنت كمن تغدَى في المنام

و حكى ابن الحجاج الشاعر في أخباره قال : كنت عند بعض الرؤساء وعنده جماعة من الأعيان فدخل حاجبه فقال : ان فلاناً بالباب ، فاغتاظ منه وقال : تشاور على فلان وهو يجري مجرى أمثالك في داري ، ايدن له ، فدخل شاب (حسن الوجه) (٧) (حسن الهيئة) (٨) طيب النشر فأجلسه وأكرمه فقال الشاب

(١) سقط من «م» . (٢) سورة النساء ٣٧ . (٣) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : براءة .
(٤) كذا في «م» أما في «س» و «ن» .
(٥) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : فاطمني على طبق الكلام
مداماً بعد ذلك بلا مدام
(٦) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : وكنت كمن رأى في النوم حلاماً
(٧) سقطت من «س» .
(٨) سقطت من «م» .

ان لي حاجة الى الوزير ، فقال : تقضى بعد أن تجلس معنا الى أن يهيا طعامنا فتأكل منه قال ابن الحجاج : و كنت أعرف شحته فأبطأ الطعام حتى فات وقت الغداء فاستحكم جوع الشاب . فلما حضر الطعام تقدم فصار يخلط غصائر البوارد بعضها ببعض ، ويلحق صدور الدجاج بأعجازها ، وبطّ خواصر الجداء عن شحومها ، وصاحب الدار يتلوّن تلوّن الحرباء ، فلما حضرت الحلوى أكل منها حتى كأن لم يأكل من غيرها ، فلما فرغ قال له : ياسيدي وعدك في قضاء حاجتي ، فقال له وهو محرج : ان عقلك عقل الأمة الشوهاء ، ان الوزير لا يوافقني في أكثر الأوقات ، فخرج من عنده وهو لا يقدر ان ينظر اليه . ثم أبطأنا بعده ساعة لانبجر (١) على الحديث معه ، فلما خرجنا قال الشاب : ما الذي جرى (بعد خروجي) (٢) ؟ فقلنا له : ما غررت إلا بنفسك ، وأنشدته مرتجلاً :

[من المنسرح]

ويحك يا أشأم الورى نسمة عند نجاح أكلت أو سلّمه
لما تضم يومك الطويل ولا تفر حتى تصلي العتمه (٣)
قد كنت عبداً لهم فما برحت كفاك تجني حتى مسخت أمه (٤)
فقال الشاب : ياسيدي من هو نجاح ؟ فقلت : نجاح وأبوه سلّمه كانا من سادات الكرماء وكانت أرباب الحوائج يتوخون (كذا) (٥) لقضاء حوائجهم حين يرفع الحجاب ويحضر طعامها .

ولقد حكى ان فقيراً دخل على نجاح يوماً وهو على سماطه ، فرأى حالة الفقير وما عليه من الأطمار الزهكة ، فأدناه الى جانبه ففعل الفقير من النهم ما فعلته انت اليوم ، ونجاح يسر بذلك فلما فرغ وغسل يديه بحضرتة ، قال له : سل حوائجك (٦) فقضاها ، فأنشد الفقير :

- (١) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : لا يجسر منا احد على الحديث .
- (٢) كذا في «م» وسقط من «س» و «ن» .
- (٣) كذا هو الوجه الصحيح أما في الأصول الثلاثة : لم تصم يومك الطويل . . وهذا التصويب شيء يقتضيه وزن المنسرح ليكون « مستفعلن » لا « فاعلن » .
- (٤) كذا هو الوجه الصحيح أما في الأصول الثلاثة : « كفاك تجني حتى مسخت أمه » .
- (٥) الصواب ان يقال : و كان أرباب الحوائج يتوخون .
- (٦) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : سل حاجتك فذكرها .

[من المجتث]

يا من يروم نجاحاً
فأطمح لعينيك نحو الـ
واجمَحْ بنفسك نحو
وكل وأطعمِ وذل
وأسأل فانك تعطى
بالسعي عند نجاح
بخوان أي طماح
الطعام أي جماح
بسوجه شيخ وقاح
ذخائر الارواح

يا بني كان الذي فعلته اليوم يتقرب به عند مثل ذلك الكريم .

الباب السادس

في آداب الضيف مع مضيّفه

يقبح بالضيف أن يسأل مضيّفه في شيء من داره سوى القبلة وهو وضع قضاء الحاجة ، ولا يُوصى على دابته ولا على غلامه ، ولا يتطّلع الى ناحية الحرم ، ولا يخالفه اذا أجلسه في مكان يكرمه به ولا يمتنع من غسل يديه ، ولا يكلفه حاجة قبل غدائه ولا يرى مضيّفه قد تحرك بجرّة فيمنعه منها .

أنشدنا صاحب لنا من شعر الشيخ أبي عبد الله ابن الكيزاني - رحمه الله تعالى - :

تَوَخَّ إذا نزلت على أناس نزلك منزلاً الرجل الأقل
فان رفَعوك فاتبَع ما أرادوا وان وضعوك قل : هذا محلى
ورأيت في بعض المجاميع أن بعض الكرماء كان عريداً على أضيافه سيء
الأخلاق ، فبلغ ذلك بعض الأذكياء فقال : الذي يظهر لي من هذا الرجل أنه
كريم الأخلاق رحب الفناء كثير الأضياف ، وما أظنّ لسوء اخلاقه سبباً الا سوء
أدب أضيافه ، ولا بد لي أن اتطفل عليه لأرى ما الموجب لما سمعته عنه ، قال :
فتصدّيته وسلمت عليه ، فقال : هل لك في أن تكون ضيفي ؟ فقلت : ياسيدي
من يأبى أكل طعامك ويمتنع عن دخول منزلك ؟ فسار بين يديّ الى أن جاء الى
داره فأذن لي فدخلت ، فأجسني في صدر مجلسه فجلست حيث أمرني ، فأعطاني
مسنداً فقال : استند ، فاستندت ، وأخرج شطرنجاً وقال : العب بنا الى أن
يُهيأ طعامنا ، ففعلت ، فلما تهيأ الطعام جعل يُقدّم لي ما استطابه ويؤثرني
بما يُعجبه وأنا لا أمتنع من شيء يراه . فلما نِمنا قدّم طسناً وإبريقاً ، واراد أن

يسكب الماء على يدي فلم استعفه من ذلك واراد الخروج بين يديّ بعد أن قدّم لي نعلي فلم أردّه عن غرضه من ذلك ، فلما همّ بالرجوع قلت له : ياسيدي أنشدك بالله فرّج عني كربةً ، فقال : وماهي ؟ قلت بلغني من أمرك مع أضيافك ما لا يخفى عنك فتبسّم وقال : والله مايجوجني لذلك الا سوء أدبهم ياأخي يصلُ الضيف الى داري فأجلسه في صدر الدار إجلالاً له فيأبى ذلك ، ثم أقدم الطعام فلا أناوله شيئاً مستطرفاً الا وردّه عليّ ، ثم يأتي وقت غسل الأيدي فأريد أن أصبّ (١) على يديه فيحلف بالطلاق لاتفعل ، ثم أشيعه عند انصرافه فلا يُمكنني من ذلك . فأقول في نفسي حتى ولايحكم الانسان في بيته ! : فعند ذلك لا أبقى ممكناً من شتمه واعنته ، وأنشدني : [من السريع]

لا ينبغي للضيف أن كان ذا	حزمٍ وتدبيرٍ وطبعٍ لطيفٍ
أن يتعدّى أبداً طوره	ولا يرى إلا بحكم المضيف
فالأمر للانسان في بيته	ان شاء ان يُنصف أو أن يحيف
وانما ينقض أحكامه	عليه ذو جهل وعقل سخيف

(١) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : أقلب .

الباب السابع

ذمّ نهَم الضيف

لا يخلو إما أن يكون الضيف بدويّاً أو حضريّاً ، فإن كان بدويّاً فلا يُنتَقَد عليه نهَمه ، لأنّ العرب يستحسنون ذلك من أنفسهم ومن أضيافهم . وإن كان حضريّاً فينبغي أن يتأدّب ويتلطّف ويملك نفسه في الأكل . والاطالة على الطعام خير من النهَم والقذارة . ولا بأس بالمحادثة على الطعام بما يُنهض الشهوة ويطيب النفس

ووصّى أعرابيٌّ ولده فقال : يا بنيّ إذا أكلت فابرك على ركبتيك ، وافتح فاك وأجحظ عينيّك ، وافرّج أصابعك وكبّر لقمك ، واحتسب نفسك في حبّ الله تعالى . فهذه الوصية وإن دلّت على كرمٍ ففيها من الشرة (١) ما فيها ، قال الشاعر : [من الخفيف]

تلك في فيه وهو يرزق الى أخـ رى وأخرى في كفه مأسوره
وقال الغزالي رحمة الله عليه — ان زلة الصوفي (في دخوله وأكله من طعام الوليمة بعد إذن صاحبها حرام) (٢) ، الا ان يكون صاحب الدار راضياً بها .
ورأيت (في النهمين) (٣) من يحضر السماط ومعه خريطة مشمعة يقلب فيها الزبادي والأوراق ، وهذا كله ما عليه يزيد . ومنهم من يستصحب معه (حرماً مثل المراكب (٤) ولا بد من صغير يحمل فيه) (٥) ما يأخذه ، ومنهم من يرتب ولده (٦) يبكي عند الانصراف من الدعاء على الطعام والحلوى (فيعطى) (٧)

- (١) كذا في «س» و«ن» أما في «م» : سوء الأدب .
- (٢) سقط في «س» و«ن» ووجد في «م» .
- (٣) سقط من «م» ووجد في «س» و«ن» .
- (٤) كذا في «س» و«ن» وهو غير واضح ولا يوجد في «م» .
- (٥) كذا في «س» و«ن» أما في «م» : . . . صعب الحمل معه ما يقدر على أخذه من زبادي الوليمة عند انصراف الناس .
- (٦) كذا في «س» و«ن» أما في «م» : ولدائه .
- (٧) زيادة في «م» وسقطت من «س» و«ن» .

الباب الثامن

في ذكر ما يُسْتَقْبَحُ من أفعال الضيف

لاخلاف عند الكرماء ان المضيف خادم لضيفه ، الاّ أنّه لا يليق بالضيف ان يعتقد أنّ مُضيفه مملوك له ، ولا أنّ داره إرث له من أبيه فتراه يتصفعن (١) ويأمر وينهى ويقترح ويستدعي فيكون ذلك سبباً لقبض النفوس عنه ، ولا يحسن به أن ينظر الى أحد من جواريه ولا من أهل بيته .

كما حكى عن بعض الاعراب أنه وجدَ إنساناً في البرية ، وهو في شدة (من التعب والجوع والعطش والخوف) (٢) وكان قد تاه عن الركب ، فسقاه (حتى أنعشه) (٣) وحمّله وضمن له أن يلحق به الركب بعد أن يستريح عنده ثلاثة أيام ، ووعدّه أن يعوضه عن راحلته إن كانت قد عدمت ، وناهيك (بهذا الاصطناع) (٤) . فلما صار (٥) الرجل الى بيت الأعرابي وشيخ وأنست نفسه بالطمأنينة والأمن وخلّا بنفسه في بيت الرجل ، راود زوجته عن نفسها ، فأغضت عنه ، ولما جاء زوجها قصّت عليه القصّة ، فلم يعاتبه في ذلك ، ثم إنّه حمّله على بغير حتى أوصله الى أصحابه ، فقال الرجل (عند فراقه) (٦) : أريد أن تشرّفني بحاجة فقال له : لا أكلفك شيئاً الاّ انك اذا اجتمعت بأهلك تعرّفهم ما أردناه لك وما أردته لنا (٧) .

(١) لعلها من الالفاظ المولدة في عصر المصنف .

(٢) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : من العطش والنصب والخوف .

(٣) كذا في «م» وسقط من «س» و «ن» .

(٤) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : بهذه الطباع .

(٥) كذا في «س» أما في «م» و «ن» : سار .

(٦) كذا في «م» وسقط من «س» و «ن» .

(٧) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : بنا .

قال بعض الظرفاء : أعرف في المؤاكلة خمسة وعشرين ، فقيل : وما هي ؟
 فقال : المتشاوف ، والعدّاد ، والزحّاف ، والجحرّاف ، والرشّاف ، والنفاض ،
 والعوام ، والقشام ، والمخلّل ، والمزلّل ، والمرنّخ ، والموسّخ والمرشّش ،
 والمفتّش ، والمنشّف ، والملبّب ، والصبّاغ ، والنفاخ ، والحامي والمجنّح
 والمغثي والشطرنجّي .

فسُئِلَ عن شرحها فقال : المتشاوف الذي يستحکم جوعه قبل انتجاز (١)
 الطعام ، فلا تراه إلاّ متطلّعا (٢) الى ناحية الباب ، يظنّ كل من دَخَلَ قد
 أحضَرَ شيئاً للأكل . والعدّاد هو الذي يستغرق مع نفسه عند رؤية الزبّاديّ فتراه
 يعدّها (٣) على أصابعه ، ويشير إليها وهي على السِماط وهو لا يشعر بنفسه .
 والزحّاف هو الذي يسبق الاذن فلا يُدْرَى به الا وهو على المائدة وحده لا يمكنه
 الرجوع ، فيضحّكك منه مَنْ حَضَرَ ويخجل هو من تسرّعه . والجحرّاف هو
 الذي يجعل اللقمة في جانب الزبديّة ويجرف بها الى الجانب الآخر . والرشّاف
 وهو الذي يجعل اللقمة في فيه (ويترشّفها فيسمع لها ساعة البلع حسّ لا يكاد
 يخفّي على أحد من جلسائه وهو بالتدّاه مشغول (٤) (عمّن ينتقد عليه ذلك)
 والنفاض هو الذي يمضغ اللقمة في فيه وينفض اصابعه في الزبديّة . والقراض هو
 الذي يقرض اللقمة بأطراف أسنانه (٦) حتى يهتدمها (٥) ويضعها في الطعام
 بعد ذلك . والبهّات : هو الذي يبهّ في وجه مؤاكله حتى يشغلهم (٧) ويأخذ

(١) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : استنجاز . والانتجاز .

(٢) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : متشوقاً .

(٣) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : يعد الزبّادي .

(٤) سقط من «س»

(٥) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : يقرض أطراف اللقمة بأسنانه .

(٦) كذا في «س» أما في «م» و «ن» : يهتدمها .

(٧) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : يميناً ويساراً . وقد أفادني الزميل الكريم الاستاذ الدكتور شكري

فوصل أنها في «آداب المؤاكلة للغزي» ص ٣٠ : من يبهتهم .

اللحم من بين ايديهم . واللتات هو الذي يَلْتُ اللقمة بأصابعه قبل وضعها في الطعام . والعدّام هو الذي يُمدّ ذراعيه ميمنة وميسرة (١) لأخذ الزبادي . والقسم هو الذي يأكل نصف اللقمة ويُعيد باقيها (من فيه) (٢) فيضعها في الطعام . والمتخلّل هو الذي يتخلّل بأظفاره . والمزكّل هو الذي يحمل معه الطعام . والمرنخ هو الذي يرنّح اللقمة في الأماق ، ولا يبلغ الأولى حتى تلين الثانية . والموسّخ من كان الى جانبه ويوسّخ الخبز الذي (بين يديه) (٣) . والمرشّش الذي يفسّخ الدجاج بغير خبرة فيرُشّ على مؤاكله . والمفتش هو الذي يفتش على اللحم بأصابعه . والمنشّف هو الذي ينشّف شواربه من الودك بالشقم ثم يأكلها بعد ذلك . والمأبّب هو الذي يملأ الطعام ناباً . والصبّاغ هو الذي يصبغ الطعام بأخاخ البيض حين يتردها في الزبدية . والنفاخ هو الذي ينفخ على طعامه . والحامي هو الذي يجعل الطعام بين يديه ويحميه عن غيره . والمجنّح هو الذي يزحم مؤاكله بجناحيه حتى يفسح لنفسه (ولا يتعدّر عليه أكله) (٤) والمغني (٥) هو الذي يُجري الأحاديث المستقدرة (٦) على الطعام . والشطرنجيّ هو الذي يرفع زبدية ويضع أخرى .

قيل : وربما قال قائل : ما انتقد هذه العيوب على الناس وأوردها إلاّ بنخيل فأكون قد عوقبتُ (بخلاً) (٧) كما قيل : لا تردّ على ذي خطأ خطأه فيستفيد منك علماً ويتخذك عدواً ، ولا خلاف في أنّ مقاساة (الحروب) (٨) (ومكابدة الشجعان) (٩) أسهل من الحضور على السماط . (وقد رأينا الفارس الجيد يلقي أقرانه وهو لبق الحركات حسن الشمائل) (١٠) .

- (١) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : يمينا ويساراً .
- (٢) سقطت من «م» .
- (٣) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : أيضاً .
- (٤) سقطت من «م» .
- (٥) كذا في «ن» أما في «م» : المغني وفي «س» : المفتي ، ولعل أقربها الى الصواب ما اثبتناه .
- (٦) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : القذرة .
- (٧) كذا في «م» وسقطت من «س» و «ن» .
- (٨) كذا في «م» اما في «س» و «ن» : الحرب .
- (٩) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : ومحاربة الابطال والشجعان . (١٠) سقط من «م» .

(والأولى) ان يأكل الانسان مما يليه بلطف ولا يظهر منه شيء من هذه القبائح (١)
ومن الأضيا ف من لايسهل عليه خدمته (٢) الا اذا أخذ الماء للغسل فيترك الغلام
واقفاً وباقي الجماعة ينتظرونه ، وهو يُطيل ويُطنب . ومنهم يكوكب في الطست
فيترك ما يرميه عائماً على الماء . ومنهم من يغسل يده بالاشنان (٣) مرة واحدة ، فاذا
اجتمع الذفر الحديد والوسخ القديم (تسوك بهما معاً) (٤) . ومنهم من يشرب
فضلة الغسل من (فيه) (٥) .

-
- (١) كذا في «م» أما في «ن» : فمن طريق الأولى ان يأكل الانسان ولا ان تبدو منه هذه القبائح .
وفي «س» : . . . القبائح .
(٢) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : حديثه .
(٣) في الأصول الثلاثة : الاثنان ، والصواب ما اثبتناه .
(٤) كذا في «م» و «ن» أما في «س» : يتسوكهما معاً .
(٥) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : فمه .

الباب التاسع

في أوصاف الطفيلية ونوادرها

سمع بعض الطفيلية قارئاً يقرأ: « ومنهم من يمشي على بطنه » (١) فقال : الحمد لله الذي احتفل بنا وذكرنا في كتابه العزيز .

وقيل لبعض الطفيلية : أيّ سورة تعجبك في القرآن ؟ فقال : « المائدة » قيل فأي آية ؟ فقال : « ذرّهم يأكلوا » (٢) ، قيل : ثم ماذا ، فقال : « آتينا غداءنا » (٣) قيل : ثم ماذا ؟ فقال : « أدخلوها بسلام آمين » (٤) ، قيل : ثم ماذا ؟ فقال : « وماهم بمخرّجين » (٥) .

[من المتقارب]

وقال ابن الرومي : (٦)
يُخالف إخوانه في الطرب
فبيّنا كذلك إذا هُمّ به
يلين الطعام على ضيرسه
ويأكلُ زادَ الوري كُلّهم
(فلو عاينته جحيم الاله
نحرت لعدته ساجدة) (٧)

(٢) سورة الحجر ٣

(٤) سورة الحجر ٤٦ .

(١) سورة النور ٤٥ .

(٣) سورة الكهف ٦٢ .

(٥) سورة الحجر ٤٨

(٦) لم أجد الابيات في جميع ما طبع من شعر ابن الرومي كما لا توجد في ديوانه في طبعته الاخيرة بتحقيق الدكتور حسين نصار .

(٧) البيت في «س» و «ن» وسقط في «م» .

وقال الآخر (١) : [من السريع]

لو طُبِّخَتْ قِـدْرٌ بِمَطْمُورَةٍ أَقْصَى بِلَادِ الرُّومِ أَوْ بِالثُّغُورِ
وَأَنْتِ فِي مِصْرَ (٢) لَوَافِيَتَهَا يَاعَالِمَ الْغَيْبِ بِمَا فِي الْقُدُورِ
والتطفل أقسام ؛ فأشدُّها المصادمة والمهاجمة والقححة ، واسهلها التعريض (٣)
لصاحب الدعوة وابتدأه بالسلام والشكر بين أصحابه والعتب عليه كونه لم يدعُه
ومن الطفيلية من يزور (٤) على صاحب الدعوة أن أحداً من أهله دعاه . ومنهم
من يحجبُ الرؤساء عند دخولهم فيتوهم صاحب الدعوة أنه مع ذلك الرئيس ،
والرئيس يتوهم أنه من أصحاب صاحب الدعوة .

وسمعت عن شرف الدين أبي المحاسن بن عنين (٥) الشاعر حكاية أثبت بها
ان الشعراء بأسرهم طفيلية . وهو أنه قال : ما بَرِحَ كل ملك (وكل أمير ووزير) (٦)
يقول لحاجبه : (أطلب لي منجماً او مغنياً أو طيباً) (٧) (ولايقول شاعراً) (٨)
وما رأيت طائفةً تأتي بغير (دعوة) (٩) إلا هذه الطائفة ، هذا مع ميل للنفوس
الى الشعر ومحبتها في المدح بخلاف الطبِّ والنجامة في غالب العُرف ؛ ولا أعتقد
العلّة في ذلك إلا أنّ الشاعر انما يُردُّ طالباً للمال او العَرَضِ وكلاهما عزيز .
وليس الطبيب كذلك ولا المغني ولا المنجم فانهم ان أنعم عليهم شكروا ، وان
تركوا سكتوا . ولقد انحسر الشعر وأهله الى أن صار الشاعر يصانع بالشكر الباطل

(١) من هنا خلت مخطوطة «ن» من النص الى نهاية الباب التاسع وشي من الباب العاشر الى قوله :
« اين كنت البارحة » .

(٢) كذا في «س» أما في «م» : الصين .

(٣) كذا في «م» أما في «س» : التقوقص . (٤) كذا في «س» أما في «م» : يزوح

(٥) هو محمد بن نصر الله ، ابو المحاسن ، شرف الدين الحواري الدمشقي الانصاري الشاعر المتوفى
سنة ٥٦٣٠هـ . انظر ابن خلكان ٢/٢٥٥ عن الاعلام للزركلي .

(٦) كذا في «م» وسقط من «س» .

(٧) كذا في «م» أما في «س» : طلبت لنا مغنياً أو طلبت لنا منجماً أو طلبت لنا طيباً .

(٨) سقط من «س» . (أ) كذا في «س» أما في «م» : دعوى .

خوفاً من أكثر الناس (واتقاءً لهم وخوفاً من شرهم) (١) . ولقد قلت في ذلك :
[من السريع]

كذبتُ في نظمٍ مديحي لكم والكذب لا يُنكر من شاعر
واحتجت أن أذكركم خفيةً بالخير للوارد والصادر
فأنتمُ ألبأتموني إلى كذبي في الأول والآخر (٢)
وقيل : عبّر بعض الطفيلية على قوم يأكلون ، فقال : السلام عليكم معشر (٣)
القوم اللثام ، فقالوا : لا والله ، (٤) بل الكرام . فقال : اللهم اجعلني كاذباً
واجعلهم صادقين وقعد (٥) يأكل .
وعبر طفيليّ على قوم وهم يأكلون ، فقال : هل تحتاجون الى مساعدة ، (فقالوا
له الدعاء (فقال : كلوا) (٦) لاهنّاكم الله .

-
- (١) كذا في «م» أما في «س» : واكتفاء لشرهم (٢) كذا البيت في «م» أما في «س» :
في أول الأمر وفي الآخر . . . كذبي
(٣) كذا في «م» أما في «س» : من .
(٤) كذا في «م» أما في «س» : إلا .
(٥) كذا في «س» أما في «م» : وجلس .
(٦) سقط من «س» .

الباب العاشر

في ذكر فضول الضيف

من الضيوف من يدخل فيتدئ بالهندسة ، فيقول : كان المجلس يصلح بانه (١) يكون من هنا ، والايوان كان يريد ان يكون مقابلاً لهذا الباب . وهذه الخزانة ما كانت تليق ان تكون هاهنا . ويتنقل من الهندسة الى ترتيب المجلس ، فينقل الفاكهة من مكانها الى غيره ، وان كان ما استحکم جوعه استغنى من الطعام وذهل عن ضرورة غيره (٢) من الأضياف وجوعهم .

(ومنهم من يُنذر صاحب الدعوة حتى ينجله بين الناس) (٣) . ومنهم من يخرج فيطوف على أصدقاء صاحب الدعوة فيتألم من انقطاعهم ويستوحش من غيبتهم .

ولقد بلغني عن مُغن غير مجيد أنه كان لا يبطل ليله قط ، لانه كان متى سئل : اين كنت (٤) البارحة ، قال : عند الناس . واذا قيل له : أين شربت ؟ قال : في فمي . ومنهم من يترك صاحب الدار قد أشار الى غلامه (سراً) (٥) بشراء (٦) شيء (للأكل) (٨) ، فيقول : يامولاي والله ماتشترى شيئاً فأذوقه . فليت شعري اذا كان لا يأكل لاي شيء حَصَرَ ؟

ومنهم من يرى صاحب الدار قد أسرَّ الى صديق له بسرِّ ، فيقول : مالذي قاله المولى لصاحبنا فلان ؟ وهو لو أراد ان يُعلمه به لم يختص ذلك به دون .

(١) كذا في «م» أما في «س» : بأنه .

(٢) سقط من «س» ووجد في «م» .

(٣) كذا في «س» و «ن» وقد سقط من «م» .

(٤) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : ان يشترى .

(٥) كذا في «م» وسقط في «س» و «ن» .

ومنهم من يستعجل صاحب الدعوة بالأكل ويشكو الجوع ، ويظنّ ذلك بسطاً ومكارم أخلاق ، ومكارم الأخلاق مستحسنة من الرجل في بيته لا في بيوت الناس .

ومنهم من يقول لصاحب الدعوة من مُعَنِّينا ؟ فيقول : فلان ، فيقول : غلط المولى ، كان فلان خيراً منه .

ومنهم من يدخل الدار وهو أجنبيٌّ فيقول : كيف اهلك ؟ وهذا في غاية القبح وسوء الأدب .

ومنهم من يسأل : كيف قوتك في النكاح ؟ فيحمل مضيفه الحياء الى ان يجيبه فيقول : نقصت شهوتي ، قلت في هذا الأمر رغبتني ، فيقول : (ليتني أنا كذلك) (١) فاني كلما مرّ عام يزيد شبقني (ويكبر لهذا الفن تشوّقي وتحرقني) (٢) ، ويعلن في هذا القول (حتى يسمعه) (٣) لأهل بيت الرجل ، فانظر الى هذه الحياة ما أدقها .

ومنهم من يشكو حاله مع أهل بيته ويذكر نفقاته عليهن (٤) وكسوته لهن (٥) ، وما زوجته عليه من القبح وسوء الأخلاق ويصف كسلها (ليستقلّ صاحبة البيت ماهي فيه) (٦) ، وربما كان ذلك سبباً لفراقها منه .

ومنهم من تعجبه نفسه ويستحسن لباسه ويستطيب رائحته (٧) ، فاذا سمع الغناء تواجد وأظهر الطرب وحرّك رأسه لتقع عمامته فيظهر فرقه وتبدو مسايحه ، ويقوم قائماً فيتمايل حتى يرى أهل البيت أنه ظريف الشكل بديع الحركات وتوهمه نفسه أنه يُعشّق (وان رسل صاحبة البيت لاتنقطع عنه) (٨) ، وهذه نهاية الفضول والطمع وسوء الأدب وقلة المروءة .

- (١) كذا في «م» أما في «س» : كنت كذلك وأما في «ن» : ليتني كشكك .
- (٢) كذا في «ن» أما في «س» : وتكبر لهذا الفن شهوتي وتحرقني ، وأما في «م» : ويكثر لهذا الفن تشوّقي وتحرقني .
- (٣) كذا في «م» و «ن» أما في «س» : يغني به .
- (٤) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : عليهم . (٥) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : لديهن .
- (٦) كذا في الأصول الثلاثة وهو غير واضح .
- (٧) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : ريجه .
- (٨) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : وان صاحبة البيت لا تبطن رسلها عنه .

ومنهم من يجري ذكر العقائد فيقول : أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -
أفضل من الأمام علي - رضي الله عنه أم الامام علي بن ابي طالب - رضي الله
منه - أفضل من الأمام ابي بكر الصديق . وهذا فضول لا ينتج الا الخصاص
والعريضة .

ومنهم من يقال له : العَبُّ بالشرنج فيأتي ثم (يقعد يدبذب) (١) ، حتى
يقع في الفضول المحض .

ومنهم من يأمر وينهى على غلمان صاحب الدار ويهين أولاده . ويظهر
ذلك ادلال عليه وتأديب لمن عنده .

ومنهم من يقول : حان وقت الصلاة فيتها لها ، (ويكون لصاحب الدار اشتغال
بأضيافه) (٢) وما خرج وقت الصلاة ، وهو يلح ويغتاض جهلاً منه وفضولاً .

ومنهم من يقال له : كل ، فيقول : والله ما أكل أنا ولا رفيقي .

ومنهم من يسمع السائل على الباب فيصدّق بغير إذن صاحب الوليمة .

ومنهم من يدعو الناس الى صاحب الوليمة . بغير إذنه ويقلده المنّة .

ومنهم من يكون خارج الطبع فاذا حضر السماع جعل (يضرب بأصابع

رجليه) (٣) ويصنق بيديه ، ولا يبقى من لا يتحقق خروج طبعه ، واولاً فضوله
لم تُعلم منه هذه النقائص .

وفضول هؤلاء أكثر من أن يحصى ، (وسوء أدبهم أعظم من أن يُستقصى) (٤)

والله سبحانه المسؤول أن لا يجعلنا ممن اغترّ بعقله واستضاء (٥) برأيه ، وأن يجعل

تأديبنا بالله وخوفنا منه (ولقاءنا اليه) (٦) انه قريب مجيب .

(١) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : وبشتغل في الدبذبة .

(٢) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : ويكون صاحب الدار مشتغلاً بتجهيز أحوال أضيافه .

(٣) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : يضرب برجليه .

(٤) كذا في «س» و «ن» : ووادهم أكثر من ان تستقصى .

(٥) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : واستضي .

(٦) زيادة من «م» .

مصادر التحقيق

- ١ - ابيات الاستشهاد لأحمد بن فارس في سلسلة نواذر المخطوطات (المجموعة الثانية) القاهرة ١٩٥١
- ٢ - الاعلام للزر كلبي الطبعة الثانية طبع مصر
- ٣ - البداية والنهاية لابن كثير طبع مصر ١٣٥١-١٣٥٨ هـ
- ٤ - البيان والتبيين للجاحظ طبع مصر ١٣٦٧-١٩٤٨
- ٥ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي طبع مصر ١٣٤٩ هـ
- ٦ - التصحيف والتحريف للعسكري طبع مصر ١٣٨٣-١٩٦٣
- ٧ - الحيوان للجاحظ طبع القاهرة ١٣٦٤-١٩٤٥
- ٨ - ديوان ابن الرومي بتحقيق د. حسين نصار (الجزء الثاني) القاهرة ١٩٧٤
- ٩ - ديوان ابي تمام طبع بيروت ١٨٨٧ وطبع دار المعارف في القاهرة .
- ١٠ - ديوان عروة بن الورد (من مجموعة خمسة دواوين) ، الوهبة ١٢٩٣ هـ
- ١١ - السلوك لمعرفة دول الملوك للمقرئزي ، (الجزء الاول في ثلاثة اقسام) القاهرة ١٩٣٤-١٩٣٩ ،
- ١٢ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي طبع مصر ١٣٥٠-١٩٣١
- ١٣ - شرح ديوان الحماسة للمرزوقي طبع مصر ١٣٧١-١٣٧٣ هـ .
- ١٤ - شرح ديوان عنتره بتحقيق عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي طبع القاهرة بلا تاريخ .
- ١٥ - الغدير للأمني طبع بيروت ١٩٦٧ .
- ١٦ - فوات الوفيات لابن شاکر الکتبي طبع مصر ١٢٩٩ هـ

- ١٧ - الكامل لابن الأثير طبع مصر ١٣٠٣ هـ .
- ١٨ - كتاب الطيخ لمحمد بن الحسن بن محمد الكاتب البغدادي طبع بيروت ١٩٦٤ .
- ١٩ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة طبع استنبول ١٣٦٠-١٩٤١ .
- ٢٠ - أسان العرب لابن منظور طبع بيروت ١٣٧٥-١٩٥٦ .
- ٢١ - محاضرات الادباء للراغب الاصفهاني طبع بيروت ١٩٦١ .
- ٢٢ - المغرب في حلي المغرب لابن سعيد (القسم الخاص بمصر) طبع مصر ١٩٥٣-١٩٥٥ .
- ٢٣ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة طبع دار الكتب المصرية ١٣٤٨-١٣٧٥ هـ .
- ٢٤ - وفيات الاعيان لابن خلكان طبع مصر ١٣١٠ هـ .